وكانت المكتبة تعانى ضائقة شديدة عندما تولى أستاذ التاريخ منصبه قبل سبع سنوات ، وقد استطاع بمآدب العشاء والغذاء أن يجمع ٧٧ مليون دولار لتجديد المكتبة وتعيين الأمناء اللازمين . ولكن المشكلة المالية لاتزال قائمة فالمكتبة تحتاج الى ١٥ مليون دولار سنويا والتبرعات الحالية لاتزيد على مليون ونصف مليون دولار فى كل عام .

ومكتبة نيويورك تختلف عن كل مكتبات العالم . نشأت كمكتبة خاصة تبرع لها اثنان من أهل المدينة بكل مالديهما من الكتب . وتبرع ثرى ثالث بالمال . وهكذا كانت البداية .

والآن للمكتبة ٨١ فرعا فى جميع أنحاء المدينة تنفق عليها بلدية نيويورك ، ولكن ٣ مكتبات للأبحاث والمبنى الرئيسى تعتمد على التبرعات الخاصة وأيضاً لدفع مرتبات العاملين وشراء كتب بثلاثة آلاف لغة .

والمركز الرئيسى يقف وسط شارعين ويقطعهما . وهو المبنى الوحيد من نوعه فى نيويورك الـذى يعترض امتداد شارعين . يقف أمامه تمثالان حجريان لأسدين أشبه بأسـدى كوبـرى قصر النيل الشهير فى القاهرة ويختلفان عنهما فى أن أسدى نيويورك يرتديان القبعة العالية .

وقد عانت المكتبة من الأزمة الخانقة التى عصفت بميزانية بلدية نيويورك فاضطرت فروع كثيرة إلى فتح أبوابها ثلاثة أيام فى الأسبوع وفروع أخرى بلا أجهزة تكييف فتغلق فى أيام الصيف الحارة .

ولم تستطع فروع كثيرة إنشاء مداخل بلا سلالم حتى يمكن أن يعبرها المعوقون من أصحاب الكراسى ذات العجلات .

وجاء جريجوريان ليعتمد على المتبرعين يناشدهم .

ورغم أن التبرعات كانت صغيرة للغاية فى البداية إلا أنه دعا ستة آلاف من هؤلاء المتبرعين إلى حفل استقبال بدار المكتبة وصافح كلا منهم .

وكان لهذه العملية صدى ضخم فى المدينة فزادت التبرعات .

ولجأ إلى إقامة المآدب الضخمة للأثرياء . وجعل قيمة الطبق الواحد ألف دولار .

وكانت مأدبة القمة فى العيد الماسى عندما جعل ثمن مائدة العشاء ٢٥ ألف دولار !